فيسمون انفسهم باسماء مختلفة وتختلف باختلاف البلاد التي يحلونها. فربما سموا انفسهم « فراعنة » او « سنديين » او « زنكالي » وهذه اللفظة الاخيرة هندية قديمة على ما قيل ومعناها « سود الهند ». والله اعلم (البقية للآتي)

مولف كتاب دفع الهم

لحضرة الاب الفاضل القس جرجس منش الحلبي الماروني

لقد خاض فريق من كتّاب مجلة المشرق المبرّزين في تحقيق مؤلف كتاب دفع الهمّ هل هو اليًا اسقف نصيبين النسطوري ام غريغوريوس ابن العبري اليعقوبي فادلوا من الحجج واقاموا من الادلة ما انجلى معهُ وجهُ الصواب او كاد فلهم الثناء على ما تجشموهُ من العناء في هذا البحث الخطير. ويا حبّذا لو فتح المشرق الاغرّ بابًا لتحقيق مثل هذه العتائق ومؤلفيها القدماء لأبان الزغوة عن الصريح واتى من الفوائد بالمدهشات وهذا لا ينكرهُ الّا من أبتلي بداء العصبيّة المحظورة وقانا الله شرّها

وعليه فان حقّ لي ان اقول شيئًا بين هؤلاء العلماء الاعلام في هذا المبحث الجليل اتيت على وصف نسخة من هذا الكتاب ثم على حلّ شكالات حضرة الاب الفاضل لويس شيخو اليسوعي مستميحًا العذر عن تطفّلي على اولئك الكتّاب الافاضل في هذا الباب فاقول

*

منذ سنة اتحفني جناب الاريحي الكريم الاخلاق رزق الله ابن شكر الله أيوب الماروني بنسخة نفيسة من الكتاب المبحوث عنهُ عَنْوَنَها ناسخها بما حرفهُ: « كتاب المعنونة على دفع الهمّ تأليف الاب النفيس الطاهر مطران نصيبين قدّس الله روحهُ ورحمهُ ورحمنا ببركة صلاتهِ امين » اه

وما كدت اطالع هذه النسخة بالتدبّر وامعان النظر حتى رأيتُها اصحّ روايةً من النسخة المطبوعة واضبط منها عبارةً ومن قابل بين الاثنتين علم اختلاف الروايات وصعوبة الوقوف على الصحيح منها كما قال حضرة الاب لويس شيخو السابق الذكر

والنسخة المذكورة خالية من اسم ناسخها وتاريخ نسخها بل ان صفحاتها خالية من الاعداد ايضاً (١ شأن الكتب الخطية القديمة . والراجح انها من المخطوطات التي يرتقي عهدها الى القرن الخامس عشر . والغالب على الظن ان ناسخها ليس بحلبي بل من جهات ما بين النهرين كما يظهر لكل مطلع على الخطوط العربية (٢ . هذا ما رأيته حريًا بالذكر من وصف النسخة المذكورة فيحسن بي ان آتي على حل اشكالات مجلة المشرق الخطيرة (٥ : ٣٤١) في مؤلف هذا الكتاب النفيس فاقول

*

ارتاب صاحب المشرق الاثور كما ارتاب قبلهُ بعض علماء المشرقيات في صاحب كتاب دفع الهم هل هو ابن شينا ام ابن العبري . وقد حملهُ على الريب في ذلك اسباب منها انهُ لا يعرف نسخة قديمة من هذا الكتاب سبقت عهد ابن العبري . ولا ريب في ان الاطلاع على مثل تلك النسخة العهيدة (٣ لمما يحل مشكلاً كبيرًا ولكنَّ ساء الحظَّ الزمن وخان الجدّ العاثر عن التوصل الى المبتغى فسحقًا لنوائب الزمان وجوائحهِ وقلّة الحرص والعناية كم ذهبت بكثير من آثار رجال المشرق المشاهير حتى انك ترى تآليف عديدة لا ترتقي نُسخها الى عهد مؤلفيها حتى تآليف المتأخرين منهم فبات اهل البحث يرومون بالعلل لا بالمطل ويستعينون على درك الحقيقة بالاستدلال

فان استسلمتَ الى حكم الضرورة وراعيتَ طرق الاستدلال الآتية علمتَ انَّ ايليا التصيبيني هو الواضع الاول لكتاب دفع الهم

اما القول بان نسخًا خطية من الكتاب في باريس ولندن واكسفرد تنسبهُ الى ابن العبري لا الى ابن شينا . فهذا القول مع الاعتراف باشكالهِ يزيلهُ القول ايضاً : بان نسخًا عديدة من الكتاب في حلب واكسفرد وروما تنسبهُ صريحًا الى ابن شينا لا الى ابن العبري . فهل يُعدّ اتفاق هذه النسخ العديدة على تلك النسبة الصريحة من

١) يؤخذ عن حاشية باللغة الايطالية ان النسخة المذكورة كانت في مكتبة الآباء اليسوعيين القدماء في حلب فعلّم احدهم صفحاتها بالاعداد الافرنجية

٢) يوجد نسخة أخرى من الكتاب تُنسب الى ايليا التصيبيني المذكور في خزانة كتب اخوية الرجال الماردونية الحلبيَّة على ما انبأ بهِ كاتب قائمتها

٣) اما نسخة المكتبة البدلانية (المشرق ٥ : ٧٣٧) فقد اصاب الاب لويس شيخو بارتيابهِ في تاريخها لان ناسخها ابن الروحي لم يتجاوز العصر السادس عشر

الامور العرضية ام من الامور السهلة الحدوث ؟ ذلك ليس من الامرين في شيء على ما ازعم. ثم هل يُخال ان النسّاخ المتباني الزمن والوطن والجنسيّة يمكن ان يتواطأوا على نسبة الكتاب زوراً الى ابن ثينا ؟ وماذا حملهم على هذا التواطؤ ؟ ليس من داعٍ لذلك على ما اظنّ فان افساد احد بداعٍ من مثل هذه الدواعي لا احجم عن شكرهِ جهد الطاقة

فاذن قد اصاب الاب الفاضل لويس معلوف اليسوعيّ كلّ الاصابة بقولهِ (ص ٧٣٨): « ان ابن العبري اتى على هذا الكتاب وزاد عليهِ ما ينطبق على مقصد ايليّا النصيبيني (من جَعْل الكتاب ثلاثة اجزاء) فاخذ القوم ينسبون الكتاب اليهِ ويذكرونهُ في عداد تآليفهِ (دون التصريح باسم الواضع الاوّل) من باب ادخال الكلّ في حكم الاكثر اه » وعند هذا يندفع ذلك الاشكال والاشكال الثالث وهو: وجود اسم الكتاب في قائمة كتب ابن العبري التي انّها اخرهُ برصوما بعد وفاتهِ. ويزول ايضاً ارتياب العلماء المستشرقين واختلافهم في هذا الشأن

واماً الاشكال الآخر وهو: ان اسم الكتاب لا يوجد في جملة تآليف ايليّا النصيبيني وفي قائمة كتبهِ التي سردها... عبد يشوع الصوباوي. فهو ولا ريب مشكل عسير ولكنهُ يُحلّ ايضاً اماً بالسهو واماً بعدم الاطلاع ولا عجب ان سها عبد يشوع عن نظم الكتاب في سلك تآليف سلفهِ النصيبيني وقد عاش بعدهُ بنحو ثلاثة اجيال أو لم يَسَهُ برصوما المذكور عن ذكر رسالة النفس في قائمة تآليف شقيقهِ ابن العبري (١ مع انهُ شقيق ومعاصر معاً

ولا يبعد عن الامكان عدم اطلاع عبد يشوع على الكتاب اذا راعيت قلّة النسّاخ وندرة الكتب الخطيّة وكساد بضاعة العلم في تلك القرون الوسطى فلا يبعد ان يفوتهُ هذا الكتاب فقد فاتهُ كثير من تآليف القدماء. وما استدركهُ عليهِ العلّامة السمعاني وما خطّاهُ بهِ في كثير من المسائل خير برهان على ما أدّعي فتبصّر (٢

١) راجع المشرق (١ : ٥٠٦ و ٧٤٥) ٢) وممّن نسبوا كتاب دفع الهمّ لإيليّا مطران نصيبين القس صليبا بن يوحنّا السطوري من كتبة القرن الرابع عشر قال في زياداتهِ على كتاب اخبار بطاركة المشرق لسمعان بن مَنّي (طبعة الاب جسندي ص ٩٦): « وفي ايّامهِ (ايليّا الاول) استفتاح الاب القديس مار ايليّا مطران نصيبين المعروف بابن المنّي صاحب كتاب المجالس وكتاب دفع الهمّ والتراجم... » ل. ش

واما الاشكال الاخير وهو ان في مقدمة الكتاب ما يدلّ على انهُ . . . يقسم الى ثلاثة اجزاء الخ . فاري انهُ لا يندفع الّا بهذين الوجهين وهما اما القول بان ابن شينا لم ينجز سوى الجزء الاوّل من الاجزاء الثلاثة كما افاد الاب لويس معلوف الآنف الذكر . واما القول بان التقسيم واقع على كل باب من ابواب الكتاب واليك البيان شيئاً فشيئاً

*

ان ابن شينا قد جعل مدار كلامهِ في كتابهِ على (اقوى الفضائل الدينيّة) وهي (ستّ فضائل) وعلى (اقوى الفضائل العقليّة) وهي (ستٌّ) ايضاً وافرد لكل منها باباً اورد فيهِ (من اقاويل القدماء وآداب الحكماء ومواعظ العلماء ما يبعث على اقتناء تلك الفضيلة واجتناب الرذيلة المضادّة لها) وهذا تجمل الكتاب كما يظهر من استقرائهِ بادنى تأمّل . ثم يقول بعد هذا في مقدمتهِ ما حرفهُ : « واجعل الكتاب ثلاثة اجزاء : الجزء الاوّل منها اضمّنهُ وصف الفضائل المقدّم ذكرها المعينة على دفع الهمّ . والجزء الثاني اضمّنهُ من المواعظ والآداب والاقاويل المفيدة ممّا يعين المقتدي بها على اكتساب الفضائل المعينة على دفع الهمّ . (١ الخ » وهذا ما في الكتاب كلهِ . ثمّ يتبع ذلك بقولهِ : « وتشتمل (اي الاجزاء الثلاثة) على اثني عشر باباً » (٢ وهذه هي ابواب الكتاب كلها

والذي يزيد الامر بياناً هو انك اذا طالعتَ مثلاً الباب الاوّل تراهُ يأتي في مطلعهِ على وصف فضيلة الديانة ومنقصة المعصية (ص ٨ وما يليها من النسخة المطبوعة) وهكذا يصنع في سائر ابواب الكتاب وهذا هو الجزء الاوّل كما رأيتَ . ثم يورد بعد هذا (من المواعظ والاقاويل الواردة في ذلك) كأي الكتاب المقدّس وحكم فيثاغورس

---

١) تروى هذه الفقرة في النسخة المطبوعة هكذا : « واجعل الكتاب ثلاثة اجزاء . الجزء الاوّل منها اضمّنهُ وصف الفضائل المقدّم ذكرها والمواعظ والخطب والاقاويل المفيدة فيما يعين على اقتنائها . والثاني اضمّنهُ من الاخبار والقصص ما يعين المقتدي بها على اكتساب هذه الفضائل الخ » ولا يخفى ما في عطف (المواعظ) على سابقها من القلق والتشويش وهذا مع ما تراه في المتن يثبتان صريحاً ان النسخة التي بيدي اصحّ رواية من النسخة المذكورة فتأمل

٢) هذه العبارة ساقطة من النسخة المطبوعة

وسولون وأومير وميلندروس وسقراط (ص ١٠ وما بعدها) الى غير ذلك (مما يعين المقتدي بها على اكتساب) فضيلة الديانة. وهكذا يفعل في كل ابواب الكتاب وهذا هو الجزء الثاني كما علمت. ثم يعقب ذلك بما يورده عن الاعرابي وعن بعض النساك وعن كسرى انوشروان و بزد جهر (راجع الصفحة ١٨ و ٢٠ و ٢٢) الى غير ذلك «من حيل اهل الفضل والعلم والذكاء» وهكذا يصنع في سائر ابواب الكتاب حاشا باب التوبة وهذا هو الجزء الثالث كما مرّ بك آنفًا (١. وبناء عليه يكون الكتاب تامّ الوضع في الاصل كما صدر من قلم مؤلفه النصيبيني من حيث لا يمكن ان يتصوّر ان النساخ يسقطون من كتاب جزءين كبيرين مهمّين كما هو الحال في الكتاب المبحوث عنهُ فلا بُدَّ من القول ان الكتاب الواحد غير الثاني او الثاني اوسع من الاوّل او بالتالي ان ابن العبري اخذ عن ابن شينا وزاد فنسخ النساخ كما رأوا في الكتابين

واما ما جاء في النسخة المطبوعة من ان الجزء الثاني يتضمّن «من الاخبار والقصص ما يعين المقتدي بها الخ» فهو مدخل على كتاب النصيبيني بلا ريب خلوّ بعض النسخ منهُ وهذا يثبت اثباتًا واضحًا ان ابن العبري انى على الكتاب او انتحلهُ فزاد الجزءين الاخيرين او تتمّهُ بهما كما هو ظاهر

هذا وليس العجب في نسبة الكتاب الى رجل كابن العبري طبّق صيتهُ المشرق كلّهُ وفاق اهل عصره بتآليفهِ العديدة الغرّاء بلا منازع وانت تعلم ان من طبع الناس ان ينسبوا الى من عُرف بالمحامد والفضائل في عصرهِ كلّ حمد وفضل عُرفا لغيرهِ بل العجب في نسبتهِ الى ابن شينا وهو دون ذلك شهرة وهذا مما يحمل على الاعتقاد بان النسبة ليست بمزوّرة بل ليست بعارية عن شبه الحقيقة على الاقل. وعلى كل حال فما اوردتهُ من مثل هذه الاستدلالات ان لم يفد القطع بالامر فلا اقلّ من انهُ يفيد الترجيح ولكنهُ يعين على التوصل الى اجتلاء الحقيقة عن محضها فتأمّل

فان لم ينجلِ وجه الريب بما تقدّم ايرادهُ استلفت انظار كتبة المشرق المجرّدين الى

---

(١) نعم ان المؤلف لم يصرّح بهذا الجزء الثالث ولم يعينهُ كما صرّح بالجزء الثاني وعيّنهُ بل اوجبهُ بسابقهِ او رصمهُ ببعض اقوال اهل الفضل والعلم الخ ولكنهُ يظهر صريحًا كما سترى

المقابلة بين الكتاب وتآليف ابن شينا العربية وتآليف ابن العبري العربية فان هذه تعد القائد الامين في حلّ الاشكال وعندها تطلع الحقيقة بكل ضيائها. واني في الختام اثني على صاحب المشرق الاغرّ بلسان اهل البحث كافةً لنشره مثل هذه المباحث الجامعة بين اللذة والفائدة لعموم القرّاء الكرام

هذا ما عنّ للخاطر القاصر اوردتهُ بكل التدقيق سعياً وراء الحقيقة لا تنديداً باحدٍ من الناس ولا تحجيلاً لآخر فان كنت اصبت فيما تحرّيتهُ فغاية المرام والّا فالعصمة لله الواحد العلاّم والسلام

شهيدان سوريّان

نظرٌ للاب لويس جلابرت اليسوعي

قلّما نجد بين اقطار الشرق بلاداً كسوريّة امتازت بآثارها الدينيّة. فلا نكاد نخطو خطوةً الّا نعثر على بعض المآثر التي تنبئ برسوخ قدم النصرانيّة في هذه الاوطان مدّة الاعصار الخالية. ولنا على ذلك احسن شاهد في اوليائه الذين اورثوا بلادنا فخراً عظيماً وخلّفوا من بعدهم اطيب ذكر

ومصداقاً على هذا القول احببنا ان نبحث عن ترجمة شهيدين قديسين ماتا في سبيل الايمان في سوريّة فانتشر اسمهما في الشرق الى اقصى حدوده وبلغ الاصقاع الغربيّة حتى عمّ بلادها جمعاء. والشهيدان المذكوران هما القديسان سرجيوس (سركيس) وباخوس من شهداء القرن الثالث (١ وعيدهما تقيمهُ الكنيسة في اليوم السابع من الشهر الجاري اي تشرين الاول

*

كان سرجيوس وباخوس ضابطين يخدمان القيصر الرومانيّ مكسيميوس غاليريوس في كتيبتهِ المعروفة بفرقة الغرباء (schola gentium). وكانا قد ابليا البلاء

١) نقلنا هذه الترجمة عن اصدق المؤرخين الذين كتبوا اعمال الشهيدين. وفي تراجم البولنديين خمسون صفحة ضخمة راجعناها فاخذنا منها زبدتها